

اسهام علماء لاهور في شعر العربي

* الحافظ محمد يونس

** الدكتور الحافظ شفيق الرحمن

Abstract

The Scholars of Sub –continent learnt Arabic for religious propensity, after the advent of Islam (in this area). But the rich Arabic literature attracted their attentions afterwards. They shared in it by writing prose and poetry. After the division of sub –continent, in 1947, the promising poets from Pakistan excelled in writing Arabic poetry that even the Arabs appreciated their writings. The trend in composing Arabic poetry in Pakistan and the contribution of Arabic poets from *Lāhore* in the progress and development of Arabic language and literature are the major focuses of this article. The great scholars composed poetry on various subjects in dynamic and unique style. Their poetry encompasses religious hymns, praise songs, celebration poems, Ballads, Odes, Encomium, Epics, Satire, Irony, Farce, Allegories, Elegies and Lyrics.

Key Words: Impressed Words, Ballads, Odes, Religious hymns.

وبعد تأسيس دولة باكستان المستقلة نجد فيها عددا كبيرا من العلماء والشعراء النابغين و الفضلاء البارعين مؤلفي الكتب الكثيرة في اللغة العربية و آدابها. واهتم هؤلاء العلماء الجيدون المختبرون بنشر اللغة العربية في المعاهد العلمية والبحوث الأدبية. وحينما رأيت أن منطقة لاهور من مناطق قديمة، والعلماء والفضلاء النابغون كانوا يكتفون فيها من مجيء الإسلام. وسمة ذلك العهد باق حتى الآن.

ومع ذلك قد أسهم علماء لاهور في ترويج اللغة العربية و نشرها وازدهارها خاصة في المدارس الدينية الإسلامية الأهلية والمدارس والكلليات و الجامعات الحكومية حول دراسات الموضوعات المختلفة. وأن هؤلاء العلماء قد ألفوا كتباً ورسائل رائعة و فرة جداً باللغة العربية. والذي يتبع آثار الشعر العربي في باكستان، و خاصة الشعر العربي الذي نشأ في لاهور، تغمره الحيرة ويدهشه الإعجاب. وهؤلاء الشعراء الذين تناولوا اللغة العربية لإبداء مشاعرهم وجعلوها

*الباحث بمرحلة الدكتوراه قسم اللغة العربية و آدابها الجامعة الإسلامية بمأولفور

**الاستاذ المشارك باللغة العربية و آدابها الجامعة الإسلامية بمأولفور

مجالاً للتعبير عن أحاسيسهم و عواطفهم ،والحقيقة التي لا تنكر أن إنشاد الشعر في أية لغة أصعب و أشد من الإنشاء في النثر، ولا يستطيع كل واحد حتى من أهل اللغة أن يقرض شعراً.

إن كثيراً من شعراء العربية في لاهور هم العلماء المتخرجون من المدارس الدينية و الجامعات الإسلامية الأهلية الذين قد أنشدوا الشعر العربي على أسلوب شعراء الجاهلية والإسلامية. ويتكرر في أشعارهم المدح والثناء والموعظة والترحيب، وهؤلاء العلماء لم يكونوا شعراء العربية فقط بل قد درسوا في المدارس الدينية والجامعات الحكومية. و هؤلاء العلماء الشعراء قد قرضوا الشعر العربي وأجادوا فيه، وهم البارعون الخادقون على إنشاء القصائد العربية رائعة الأسلوب، مليحة الديباجة، خالية من التكلف والتعسف والتعقيد والغموض.

كما أن كاتب النثر يسري بقلمه في مجالات كثيرة و يقرع كثيراً من الموضوعات ليملاً فراغ الأوراق بشذراته و يعبر للقارئ عن نتائج تفكيره - وكذلك الشاعر عندما يجلس و يفكر في النظم يتخذ بواعث و موضوعات هذه الأشعار إما من واقع اجتماعي يعيش فيه و يتأثر بما تدور فيه من المسائل و القضايا ، فيتحدث عنها في صورة الشعر بقصد حلها أو إبرازها وتقديمها إلى أصحاب الحل و العقد ، أو من وجدانه وما تظهر فيه من عواطف مختلفة مثل عاطفة الحب أو عاطفة الترحم أو عاطفة دينية وغيرها-

ففي كلتا صورتين يجد الناظم أمامه مجالات واسعة و موضوعات مختلفة يستمد منها مادة لنظمه ، ولذا قام النقاد بتقسيم هذه الآفاق الشعرية إلى أغراض، مثل: المديح و الهجاء والثناء والفخر والحماسة وغيرها، ولكل من هذه الأغراض سمات تتسم بها-

بنسبة شعراء لاهور حدثت نفس هذه الصورة إذا اختبروا قرائحهم في شتى المجالات و قرضوا الشعر لمختلف الأغراض والصفحات الآتية تتحدث عن تلك الأغراض التي رست إلى أذهانهم وظهرت في نظمهم ، وذلك حسب المادة الشعرية التي اطلعنا عليها-

وفي الآتي ذكرنا هذه الأغراض أولاً ، ثم نتناول كل واحد منها على حدة :وهي:

١- المدح: المدح النبوي مدح الصحابة مدح العلماء مدح الأمراء

٢- الرثاء

٣- الوصف: وصف الحبيبة وصف البستان ولوازمه وصف المباني وغيرها

٤- النقد: العلمي الاجتماعي الديني

٥- الاتجاه الديني

٦- الشعر التعليمي

٧- التغزل

٨- الفخر والحماسة

٩- الترحيب والتهنئة

١٠- الشكوى والاستعطاف

١١- الهجاء

المدح

وهو بيان السمائل الطيبة وتعداد الصفحات الجميلة التي يكون المدوح متصفا بها ومن دوافعه الحب بشخصية المدح أو الإعجاب بفضله وكرمه وقد يكون الطموح إلى نيل عطاءه دافعا للمدح. فنظرا إلى اختلاف الدوافع والبواعث ينقسم المدح إلى عدة أقسام مثل مدح النبي صلى الله عليه وسلم بدافع الحب والا عجاب بما عمل لفلاح الإنسان، ومدح رجل من الأثري بغرض أن يجود عليه من كرمه، وغير ذلك فنبداً الحديث عن المدح النبوي هو عنصهم من الأشعار المدحية لشعراء العربية في باكستان.

المدح النبوي

المدح النبوي أكثر الأغراض الشعرية شيوعاً عند شعراء العربية في باكستان، فما من شاعر إلا وقد تطرق هذا الباب ونظم الشعر بهذا لصدد ومن أشعر شعراء المدح النبوي في لاهور أصغر علي الروحي، و فيوض الرحمن العثماني، و مولانا محمد إدريس الكاندهلوي و المفتي جميل أحمد التهانوي و الدكتور ظهور أحمد أظهر. أما المعاني التي يتناولها المدح النبوي عند الشعراء العربية في لاهور فمن أهمها ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم إسرائه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عروجه إلى السماء وقد تناولها كثير من شعراء العربية في باكستان. فهذا الشيخ أصغر علي الروحي يقول:

لقد عرج الإله بك اصطفاءً إلى العرش استويت عليه روحاً
فهذا الحق لا يخفى ولكن تعمدت النفوس به جنوحاً²

وقد خص الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي قصيدة تناول فيها إسرائ النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول
ألا ليت شعري هل يقولن مقولي قصيداً بإسرائ النبي المبجل
فسجان من أسرى بلبل بعبده إلى المسجد الأقصى إلى عرشه العلي
تمطي براقاً خطوه مد طرفه كبرق و ليس البرق منه بأعجل

² الروحي، أصغر علي: الديوان، ص ٥٦-٥٧ تحقيق: الدكتور رانا ذوالفقار علي. تقديم: الدكتور ظهور أحمد أظهر، لاهور: مجلة المجمع العربي الباكستاني، المجلد الأول، العدد الثالث.

وصادف فيها الأنبياء ينظرونه
فلاح كبدري الكواكب كامل
وقال له الروح الأمين تقدم
فأنت إمام الأنبياء و خطيبهم
ويقول المفتي جميل أحمد التهانوي بهذا الصدد
من أرض مكة نحو أقصى ثم
للعالم الأعلى و من سكن العلى

و قد جمعوا للشاهد المتوكل
فيالا حنقال للكواكب مخجل
وأم جميع الرسل يا خير مرسل
مصباحهم في كل نادومخجل³
منه إلى العلى في البقطة الإسراء
هذا لأسرار الهدى إبداء⁴

٢- شفاعته

أشار أغلب الشعراء الباكستانيين بالعربية إلى شفاعته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة في شعرهم ويقول فيوض الرحمن العثماني بهذا الصدد:

قد كنت في ليلتي أرعى كواكبها
نوديت يا هائما في الحب منجلا
محمد هاشمي شافع لهم
و الناس في حرج و الجمع في حب

كأنها في الدجى در على حل
أكثر صلوة على من ساد في الرسل
حيث انتفى النصر و الإقدام في زل
و العين شاخصة و القلب في وجل⁵

٣- منزلته بين الأنبياء

مما لاشك فيه أن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أعلى وأرفع منزلة من بين سائر الأنبياء والرسل الكرام جميعا، وأنه فضل على بقية الأنبياء بميزات كثيرة منها أنه ختم به النبوة. وقد تناول شعراء العربية في لاهور هذا المعنى في شعرهم فهذا أصغر علي الروحي يقول:

سموت إلى المكارم و المعالي
و قد كنت اقتديت بهم جميعا
سبقته و قد تلاك الأنبياء
فتسبقهم جميعا لامراء⁶

ويقول محمد إدريس الكاندهلوي بهذا الصدد:

³ مجلة الرشيد، ص ٢٥٣-٢٥٥

⁴ الرشيد، ص ١٣٥-١٣٨

⁵ فيوض الرحمن، الدكتور: مشاهير علماء ديوبند، ص ٣٧٦- لاهور: فرنتير بيلشرز "بدون التاريخ

⁶ الروحي، أصغر علي: الديوان، ص ٤٣-٤٥

و لم يدن رب العرش غير نبينا
و فارقه الروح الأمين بسندرة
و ودعه جبريل إذ جاء رفرف
و من بعده قدزج في النور زجة
و ما ذاك إلا غاية لكرامة
و في ذاك إيماء لختم النبوة
كقبل ارتداد الطرف احضار عرشها
إلى العرش تفضيلاً لأفضل أفضل
و قال له هذا نهاية منزلي
تدلى له مثل المنصة من عل
و أضحى الى مولاه يسمو و يعتلي
و هل بعد هذا من مقام مفضل
و هذا لأن العرش آخر منزل
لقد جاء منصوباً بذكر منزل⁷

ويقول جميل أحمد التهانوي في بيان منزلته السامية و مكانته الراقية:

الأولون والأخرون علومهم
إذ رحمة للعالمين ظهوره
فالكل في أمن به أن يخسفوا
تنشق أرض الحشر عمن تحتها
إذ يحشر الناس الجميع بمحشر
المرسلون جميعهم في مفرع
و له الوسيلة و الفضيلة منحة
بيمين عرش الله حين حسابهم
في علمه مجموعة سحاء
لم يحرم الثقلان و الأشياء
أو يهلكوا و يكون الاستقصاء
هو أول ممن لهم إحياء
بيمينه للحمديه لواء
تحت اللواء له لهم إبواء
و مقامه المحمود فيه ثواء
و الناس في فرق لهم غوغاء⁸

و يقول محمد موسى خان الروحاني يندد بمن ادعى عن النبوة بعده:

و خاتم أنبياء الله طرا
فلا يرجو النبوة بعد هذا
فلعنة ربنا أعداد رمل
و خاتمهم فنب المنكرونا
سوى من كان دجلاً لعينا
على الأتباع و المتنبئين⁹

٥- أوصافه عليه الصلوة والسلام

⁷ مجلة الرشيد، ص ٢٥٣-٢٥٥

⁸ الرشيد، ص ١٣٥-١٣٨

⁹ المرجع السابق، ص ٣٦٠-٣٦١

قد كان بيان أوصاف النبي الكريم صلى الله عليه وسلم و شمائله أحب المواضيع إلى الماد حين في كل عصر ويمكن أن نقسم أوصاف عليه الصلوة والسلام إلى أقسام ثلاثة: ١- الأوصاف الخلقية، ٢- الأوصاف الخلقية- ٣- الأوصاف النبوية- ويقول أصغر علي روي في بيان صفاته النبوية:

وتأمرنا و تنهانا فصيحا
وتكشف عن خبيئات المعاني
فتهدينا صراطا مستقيما
كنافحة أبنت أن لا يفوحا¹⁰

مدح الأمراء و الملوك

ومن الشعراء الذين لهم إنتاج في هذا المجال الشيخ أصغر علي الروحي والدكتور ضياء الحق الصوفي وخورشيد حسن الرضوي: قال الشيخ أصغر علي الروحي بمدح سفير الدولة العثمانية التركية:

نسيم الصبا فاحت مطيبة النشر
أنت كغيث المحل قوماً أبنت لهم
علي خصب وادينا برؤيتك التي
سنشكر شكرا ليس عنا بمعزل
سلام علي ملك المكارم و العلى
خليفة رب العالمين برحمة
فها نحن ندعو دعوة مستجابة
كأنك كالمسك الفتيت أو العطر
حميتهم أن لا يميلوا إلى الشكر
تداوي مريض الحب يقلق بالهجر
و تدعوا لك الخير استباقا إلى البر
من الرب ما قام الأعباء بالنصر
لكي يغلب الكفار بالجبر و القهر
أناه الهدى حتى القيامة و الحشر¹¹

٢- الرثاء

وهو مدح الأموات بما كانوا يتصفون به في حياتهم من كرم وشجاعة و مروءة وعلم وفضل. فالرثاء غرض من الأغراض الشعرية يتحدث الناظم فيه عن المتوفى، فيذكر حسناته ويصف أخلاقه، مظهرًا عاطفة حبه به. والرثاء من الأغراض الشائعة عند شعراء العربية في لاهور فأغلبهم خاضوا هذا المجال وأثاروا قرائحهم في نظم الشعر العربي لرثاء العلماء أو الأمراء والسلاطين أو الأقرباء. ومن أشهر شعراء الرثاء في لاهور، الذين عثرنا على قصائدهم السيد ميرك شاه ومحمد إدريس الكاندهلوي والدكتور ضياء الحق الصوفي والمفتي جميل أحمد التهانوي ومحمد موسى خان الروحاني: وفيما يلي بعض النماذج للرثاء في الشعر العربي في باكستان. يقول الشيخ ميرك شاه الكشميري يرثي شيخه محمد أنور الكشميري رحمه الله:

¹⁰ الروحي، أصغر علي: الديوان، ص ٥٦-٥٧

¹¹ المرجع السابق، ص ٧١٠

سقى الله رمسا فيه بدر منور
من الديم المدرار ماذر شارق
قراءة بحر العلم أم رمس أنور
و قد كان دهرنا مشرق الأرض وجهها
و أحبي قلوبا و المعاف بالحجي
تغلغل في أعماق ما لم يصل إلى
حبيب غريب طالعا طاب شرقه
أضاءت به الآفاق إذ كان يزهر
عهادا تروي غيظه و يخضر
قد يس محيط القدس أم هو جوهر
فراح يضئ بطن الثرى و ينور
كأحياء وسمي رياض أتنضر
سطوح له جهنم دهر يحبر
و تلفيه مهديا إذا ما يغور¹²

ومما يمتاز الرثاء فثبه القارة الهندية الباكستانية أن أغلب الشعراء يرمزون لتاريخ وفاة ممدوحهم باستخراجهم من أعداد الحروف. فقولته 'حبيب غريب طالعا طاب' يشير إلى سنة وفاة الشيخ محمد أنور الكشميري ١٢٩٢هـ. وهذه بعض الأبيات للدكتور ضياء الحق الصوفي في رثاء أخته:

لقد خلق الدّواء لكلّ داء
و قد بلغ الطّوارق لي مداها
رزيت شقيقتي يا لهف نفسي
و أعجب منك كيف رحلت أختي
و لكني عذرتك إذ من المو
رحيلك كان كرها قد علمنا
و أيام السّعادة و التّهي
فلما أن رحلت بقيت فردا
و داء الموت ليس له دواء
فما الصّبر الجميل و ما العزاء؟
فعن عودي قدما نقشر اللحاء
و لم يك منك مرجوا جفاء
ت ليس لواحد منا النجاء
و كل الشئ للموت البراء
قد اختتمت و حل لي الشقاء
و شغلي دائما ألف وهاء¹³

٣- الوصف

فسر النقدة الوصف بأنه الكشف والإظهار يعني ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات. نشاهد في دنيانا هذه كثيرا من الأشياء المتنوعة الألوان والماهيات وقد نعجب ببعضها أو نكره بعضها الأخرى. كما أن كثيرا منها تثير في قلوبنا من شتى العواطف مثل عاطفة الحب وعاطفة النشوة والذهول فنعمد كثيرا إلى كشف منبع هذه النشوة ومورد هذا الأعجاب ووصف جوانبها المعجبة. وقد يكون الكشف في صورة نقش أو رسم أو في صورة نشر أو شعر

¹²، البنوري، محمد يوسف: نفحة العنبر في حياة إمام العصر الشيخ أنور. كراتشي: المجلس العلمي، ١٩٦٩م، ص ٢٥٠-٢٥١

¹³، بشرى أسماء: محمد ضياء الحق الصوفي، ديوانه وخدماته: رسالة ماجستير، القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور عام ١٩٩٥م ص

حسب تبايني أهل المشاهدة. ثم أن الوصف على فروع منها وصف الطباع والأخلاق أو وصف الحيوان أو الليل المظلم أو اليوم الممطر أو ما شابه ذلك.¹⁴ فانتاج شعراء لاهور في الوصف يتعلق بكثير من فروع الوصف منها: وقال الدكتور ضياء الحق الصوفي في وصف كتاب المعارف لابن قتيبة.

كتاب	المعارف	لابن	قتيبة	خزانة	علم	لأهل	الأدب
ففيه	النوادر	مجموعة	لنفس	امرئ	فيه	كنز	الطرب
غنى	فيه	عن	كتب	ضخمة	على	طالب العلم	في ما وجب
معارف	شئى	بطياته	سبائك	من	فضة	أو	ذهب
فقل	للذي	لم	يزل	كادحا	لتحقيق	شيء	و نال
ألا	لاتته	في	ظلام	العمى	بمضونه	لنوبله	الطلب
إذا	كنت	تطلب	علما	يقينا	بأخبار	تاريخ	ملك العرب
عليك	بتفتيش	أوراقه	تجد	فيه	ما	تبتغي	و الأدب
و أن	قل	حجما	ولكنه	كفى	من	كثير	التعب
مبينة	فيه	كل	العلوم	على	صغر	الحجم	يا للعجب ¹⁵

٥- وصف الشمس

قال الدكتور ضياء الحق الصوفي يصف الشمس:

الشمس	في	كبد	السما	ء	من	الصباح	إلى	المساء
في	كل	صبح	تطلع	لنور	نعم	المنبع		
ضاحكة	مستبشرة	و	ذرها	فالأرض	منها	مسفرة		
بنشرها	و	ذرها	سراجنا	تجري	منزله	الأبراج		
سراجنا	الوهاج	و	تستعر	و	السحر	سحر	مستمر	
جذوة	نار	و	ضياؤها	تعجبنا	سناؤها	تبريزوب ¹⁶		
تبهشنا	الطلوع	و	الغروب	كأنها				

¹⁴ لجنة من أدباء الأقطار العربية، كتاب الوصف.

¹⁵ بشرى أسماء "محمد ضياء الحق الصوفي، ديوانه وخدماته: ص ١٦٤

¹⁶ المرجع السابق، ص ٢٠١-٢٠٢

٤- النقد: الاجتماعي العلمي الديني

الشر خلق مع الانسان كما خلق الخير. فكثيرا ما يرى الإنسان في معاصريه ما يزعجه ويقلقه من الخصام والمقاتلة والعادات السيئة والحقد والحسد وغيرها. فيظهر رأيه نحو هذه الأشياء بشكل ما من القول والنثر والنظم وغير ذلك من طرق الإظهار والإبلاغ، هذا جانب من النقد.

وقد يكون الإنسان معجبا بما وجدته في من حوله من خصائل طيبة وأخلاق حسنة، فيحسن رأيه في هؤلاء. وهذا جانب ثان من النقد، لأن المراد به أبرز الجوانب السلبية والإيجابية معا لشيء ما. ولذا قسمناه إلى الاجتماعي والعلمي والديني. وهذه هي الجوانب الثلاثة قد وجدنا لها شواهد من إنتاج شعراء العربية في لاهور ومن هؤلاء: محمد إدريس الكاندهلوي والدكتور ظهور أحمد أظهر. يقول الدكتور ظهور أحمد أظهر في النقد الاجتماعي:

فقد الزمان عدالة و مروءة	و طوى الظلام ذنوبه بغطائه
فترى الظلام محيما متراكما	و ترى الزمان مخادعا بسخائه
فيهوده و صليبه وهنوده	متأمرون لقمعنا بجفائه
خل الزمان و جوره و جفائه	و اذكر حبيبك دائما بردائه
خل الزمان فعزنا بمحمد	و نجاحنا في دينه و رضائه
أخلاقه قد عطرت أجواءنا	و علا الوجود بحسنه و بهائه
و بدا الصباح ببسمة متبخترا	يحيي الزمان بنوره و ضيائه ¹⁷

ومن ذلك تائفة القضاء والقدر للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي حيث بدأ القصيدة بقوله:

أسبح الله العظيم بحمده	و أشكره في كل سر و جهرة
و أهدي سلامي للعبير المفتت	لمن خصّه المولى بختم النبوة
مع الآل و الصحب الكرام جميعهم	و سائر أهل الله أهل السريرة

ثم قال في إبطال مذهب القدرية.

هو الله رب الكون لا رب غيره	هو الخالق البارئ بمحض المشيئة
و خالق صانع و خالق صنعة	و فيه حديث مسند عن حذيفة
و أعمالنا مخلوقة كنواتنا	كما جاء في التنزيل في غير آية ¹⁸

¹⁷، أظهر، ظهور أحمد: "الشعر العربي وتطوره ومذاهبه في شبه القارة"، مجلة المجمع العربي الباكستاني: المجلد الأول. العدد الثالث، ص ٦٦-٦٨.

¹⁸، لعله يشير إلى قوله تعالى: "والله خلقكم وما تعملون": سورة الصافات "الآية: ٩٦".

وقال في بيان الحكمة في خلق الشرور وأسبابها.

و لو لم تكن أسباب شر لعطلت
و ماتت كثير من خلال حميدة
كصبر و حلم و احتمال مكاره
و تخليص مظلوم و تنفيس كربة
و لو لم يكن فسق لما وجد التقى
و لاسعدت نفس بحسن الإنابة¹⁹

ومن النقد الديني أطول قصيدة من إنتاج الشيخ أصغر علي الروحي عارض بها الفتنة القاديانية والمنتسب الكاذب الميرزا غلام أحمد القادياني، وقد عارض بها قصيدة الميرزا التي سماها بالقصيدة الإعجازية وتحدى أهل الإسلام بإتيان مثلها فنهض لها الكثير، ومنهم الشاعر المذكور حيث قرض أطول قصيدة من إنتاجه وتقع في مائة وسبعة أبيات ومطلعها.

تسير إلى ربع الحبيب الزوامل
فيا لك شوقا هيجهته المنازل
بعد عدة أبيات من التشبيب يتذكر الشاعر سعادة الأيام الماضية إذ كانت القلوب مليئة بحلاوة الإيمان وكان الإخلاص يعمّها والمسلمون لا يخلط عقيدتهم كربه ولا يشوبها رديء:

و كانت ربوع الدين مخضلة الثرى
فهذي مغانبه و هذي المواهل
لما انتهى خير القرون و لحق الضعف عقيدة المسلمين وقلت غيرهم الإيمانية:

هبطنا و رب البيت حتى انتهى بنا
صغار إلى ما لا يجاوز سافل
نرى خيل أقوام تسابق غاية
و لكن جياذ المسلمين جوافل
هكذا يشجع قومه ويحاول تنبيه غافليه وتنشيط كساليه وإيقاظ سكاراه وخاصة أهل العلم منه لأنهم تناسوا فريضتهم وتركوا فرصة يستغلها أعداء الإسلام:

لقد نام أهل العلم طراعن التقى
فها قد نسوا بطش الغيور يعاجل
ثم يأخذه طائر خياله إلى ذكر الرسول عليه السلام الذي بذكره ترتفع الهمم ويقارن بينه وبين هذا الكذاب الذي يتخلى من كل حسنة وهنا يشتد أسلوبه ويعنف كلامه ناقداً الميرزا نقداً علمياً مزوداً بمعايير مسلمة ناقضاً دعاويه وتعلياته، ويصف أسلوبه الشعري بالتفاهة إذ أنه يخلو من سلاسة الألفاظ وعمق الفكر:

يباري فحول الجاهلية فاخرا
بمسروقة السفساف والأمر هائل
يفاخروهم في الشعر جهلاً و شعره
على كل طبع مستنير يشاقل
وليس قرض الشعر ما يعتز به نبي:

¹⁹ الكاندهلوي، محمد إدريس: سلك الدرر، شرح تائية القضاء والقدر، لاهور "بدون التاريخ" ص ٨-٩-١٢

فسبحانه قد قال ما ينبغي له فهل حجة ينبغي له متغافل
ونراه فيما بعد، يلتفت من صبيغة الغائب إلى الحاضر مستمرا في انتقاده الميرزا:
تنبأت يا مغرور بعد محمد فمه يا مسيلمة الكذوب المحاول
أ أنت لنا المهدي من صلب جنكيز و مهدينا من آل زهراء آجل²⁰
فلو كنت في أيام دولة مسلم لأنسيت كالماضي و ذكرك خامل²¹

٥- الاتجاه الديني

يشتمل الاتجاه الديني على كل ما يثبته الإسلام من زهد وموعظة وإرشاد ودعوة إلى المبادئ الدينية. نرى كثيرا من شعراء العربية في لاهورتنا ولوا هذا الغرض في شعرهم واتجهوا إلى ما يلائم الدين من الدعوة إلى العمل الصالح ومناجاة الرب تعالى وحمده وإياه، والإشادة بالرسول صلى الله عليه وسلم والحث على الأخلاق الحسنة الفاضلة والتحذير من الأخلاق الرذيلة الفاسدة. ومن الشعراء الذين اتجهوا هذا الاتجاه الشيخ أصغر علي الروحي ومحمد إدريس الكاندهلوي. فمن أبيات الشيخ أصغر علي الروحي في النصيحة والموعظة:

أ يا نومان ما لك لا تنوب جنون الناس في الدنيا ضروب
أ تطمع في رغيد العيش شيخا بكاء شج على ما لا يؤوب
شبابك قد مضى و الشيب يبكي فكيف ترك و هو لك الوهوب
و ربك لا ترى ربا سواه تحاولها فما يجديك توبوا
إذا لم تنه نفسك عن ذنوب يخادعنا بأشكال تنوب
وإن حياتنا الدنيا كغول وتسخطنا بما لا نستطيع
فترضينا بحال نرتجيه تخاف الله و هو لها رقيب²²

وقال الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي يحمد الله عز وجل و يتضرع إليه:

لك الحمد و التقديس و المجد كله تبارك يا رب السموات و الثرى
لك الكبريا و الخلق و الأمر كله فنعماك جلّت أن تعدّ و تحصر
لك الفضل و النعماء و الشكر كله تعاليت ما أولاك يا حمد أجدر

²⁰ ادعى الميرزا أنه من صلب جنكيز مع ادعائه المهدي المبشر به في حديث النبي صلى الله عليه وسلم مع أن الحديث ينص على أن المهدي من سلالة بني هاشم وأن اسمه يواطئ اسم الرسول واسم أبيه يواطئ اسم والدا الرسول عليه الصلاة والسلام.

²¹ الروحي، أصغر علي: الديوان، ص ٨١-٩٠.

²² المرجع السابق، ص ٥٠-٥١.

و من ذا الذي يحصي ثناء و مدحة
و لو أن ما في الكون من كل كائن
رضيت بك الإله ربا و مالكا
و بالملة البيضاء دينا و شرعة
و بالمسلمين إخوة و مرافقا
و إن بالغ المثني و أكثر أكثر
لسان يديم الحمد كان مقصرا
و بالمصطفى الهادي رسولا مبشرا
عسى أردن يوم القيامة كوثر
و بالكافرين بغضة و تنفرا²³

٦- الشعر التعليمي

والهدف منه تيسير حفظ الحقائق العلمية على المتعلمين. ومن الشعراء الذين عثرنا على إنتاجهم في هذا الغرض الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي حيث نظم الأمور المتعلقة بالقضاء والقدر في تائية القضاء والقدر والشيخ محمد موسى خان الروحاني البازي حيث نظم أسماء الله الحسنى في القصيدة الطوبى وأسماء النبي العظمى في القصيدة الحسنى وأسماء الأسد في قصيدته التي رثى بها الشيخ عبد الحق رحمه الله وسماها فتح الصمد في نظم أسماء الأسد. ويقول محمد موسى خان الروحاني:

حمدت الله رب العالمينا
أصلي بعد حمد الله تترى
فيا رب احمني من شر نفسي
و من مرض و آفات و غم
بجاه المصطفى الأ سنن مقاما
محمد النقي القلب حيا
هو المدثر المذكي خلقا
رفيق منة الله حريص
على النعماء حمد المخلصينا
على الهادي نبي المرسلينا
و شيطان و من كانوا خوونا
و من فتن دهرت جسا و دينا
حبيبي رحمة للعالمينا
و ميتا فهو أركي الطاهرينا
هو المزلل المقري سنينا
عليكم أيها المستسلمونا²⁴

٨- التغزل

الغزل بفتح الغين والزاي، يقال غزلها، والمراد به اللهو مع النساء بمحادثتهن ومراودتهن. والمعروف عند الأدباء وأهل اللسان أن الغزل والنسيب والتشبيب كلها بمعنى واحد يعني مدح الأعضاء الظاهرة من المحبوب أو ذكر أيام الوصل والهجر. وقد فرق بعض أئمة الأدب بين هذه التعابير الثلاثة حيث قال إن الغزل هو

²³ مجلة الرشيد، ص ٢٠٨-٢٠٩

²⁴ المرجع السابق، ص ٣٦٠-٣٦١

الأفعال والأحوال والأقوال الجارية بين الحب والمحبوب، وأما التشبيب فهو الإشادة بذكر المحبوب وصفاته. أما النسب فالمراد به حال الناسب والمنسوب به والتحدث عن الأمور الجارية بينهما. وأما التغزل فيكون إطلاقاً على كل من الثلاثة المذكورة، فإذا التغزل هو ذكر الغزل فهناك عموم و خصوص من وجه.²⁵

وفي الاصطلاح هو غرض من أغراض الشعر وينقسم إلى قسمين: الغزل الفاحش وغير الفاحش، ومن الذين لهم حظ في هذا الغرض الشعري من شعراء لاهور الشيخ أصغر علي الروحي والدكتور خورشيد حسن الرضوي. وقال الأستاذ أصغر علي الروحي:

مررت	بربع	سلمى	مستجيبا	لشوق	هاج	في	قلي	نحيبا
و يومي	لا	أرى	سلماي	فيه	ليوم	يجعل	الولدان	شيبا
أعالج	ما	بقلي	و هوداء	عضالاً	لا	يكلفني	طيبا	
لقد	سهرت	طوال	الليل	عيني	تجود	بدمعها	بدم	مشوبا ²⁶

وقال الأستاذ الدكتور خورشيد حسن الرضوي:

دنت	كغزال	خالص	اللون	شادن	سقيم	الجفون	فاتر	اللحظات
فخلت	فؤادي	ذاب	بين	جوانحي	و كدت	أشق	الصدر	بالزفرات
أسلماي	إن	أعرضت	عني	بعدها	أصبت	صميم	القلب	بالنظرات
فلا تحسبي	أن	النوى	عزت	الهوى	و لا أن	طول	الهجرث	صلاحي
فطيفك	لا	ينفك	عني	ساعة	ملأت	علي	يقظني	وسباتي ²⁷

٨- الفخر والحماسة:

الفخر هو تعداد الصفات وتحسين السيئات وهو من أدل فنون الأدب على الفطرة الإنسانية، لأنه تعبير عن نزعات النفس. كل رجل يفخر بقومه وبآثار أسلافه أو بحز به الذي ينتمي إليه أو المسلك الذي يسلكه. وهكذا ينقسم الفخر إلى أقسام، مثل الفخر الذاتي بأن يفخر بمقاخره المتعلقة بذاته والفخر الحزبي والسياسي وغيرها.²⁸

²⁵ محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، الطبعة الأولى، مصر، ١٣٠٦هـ، باب اللام فصل الغين.

²⁶ الروحي، أصغر علي: الديوان، ص ٥٢.

²⁷ بهداني، حامد أشرف الدكتور: الشعر العربي في باكستان "منذ تأسيس باكستان حتى ٢٠٠٠م، رسالة للدكتوراه، قسم اللغة

العربية. جامعة بنجاب لاهور سنة ٢٠٠٦م.

²⁸ حنا الفاخوري: الفخر والحماسة.

وقد نظم شعراء لاهور في بعض من أصناف الفخر المذكورة وفي الحماسة، وهو الشعر الذي يتصل بمنى القوة والشجاعة من دعوة إلى الجهاد أو الحديث عن البطولة.

٩- الترحيب والتهنئة

ومن قال الشعر في هذا الغرض الشيخ محمد موسى خان الروحاني، والدكتور ضياء الحق الصوفي. وفيما يلي نقدم نخبة من قصائد بعض الشعراء كنماذج لهذا الغرض. قال الدكتور ضياء الحق الصوفي يهنئ الدكتور سعيد إقبال بمناسبة عقد زواجه:

و أنت لكل الطول و الفضل مصدر	لك الحمد يا من أنت بالحمد أجدر
و أنت لأ سباب الأمور مقدر	و أنت لنا للصالحات موفق
له كل صعب منه سهل ميسر	إذا ما أراد الله خيراً بعينه
و قد هزنا هذا الحديث المسرر	لقد سرنا ما قد سمعنا من النبا
فكاد فؤادي بحجة يتطير	بأن سعيداً قد أراد تزوجاً
على جدكم لاغرواًن تتبختروا	أيان ساكني بيت الفصبح تباهجوا
جديريه يختال عزاً و يفخر	فإن أبا كانت بقاياهم مثلكم
و يسمع ربي من دعاه و يبصر	فهايك أدعو يا سعيد مهناً
وقاك تصاريف الدهور المدبر	حمالك إله الخلق شرّ النواب
و دمت سعيد في الهنا تتوقر	و بارك في العقد السعيد إلها
و بين الليالي السود ليلك مقمر	نهارك بين الأنهر الغمّ شامس
كغانية عجباً قميس وتبطر	ولا زلت في عيش رغيد بنعمة
و نخلك يسموكلّ حين و يثمر	سقتك العوادي الصالحات مطيرة
يموج به بحر السور و يزخر	تحلل واديك الأغنّ تبهجاً
مثل ما يتشي برد يمان محبر ²⁹	و تزدان بالأزهار روض منك

١٠- الشكوى والاستعطاف:

²⁹ المرجع السابق، ص ٤٧٤؛ المرجع نفسه، ص ١٧٣-١٧٤؛ بشرى أسماء "محمد ضياء الحق الصوفي، ديوانه و خدماته" ص ١٦٤

ومن الشعراء الذين لهم إنتاج في هذا الغرض الدكتور خورشيد حسن الرضوي، قال الدكتور خورشيد حسن

بهذا الصدد:

جاء الجواب بخط الغير يخبرني	بأنكم عن فؤادي الصب في شغل
لقد أملت كثيراً من تغيركم	هذا و لكنه لم ينقطع أمني
كذا الزمان له أطرافه خشن	هذا و أملت ذا يوماً عليّ ولي
يا من بخلت بملء الكفّ أرشفه	من بحرك الجمّ أَرْضَى منك بالبدل
عسى الذي يكشف الضراء يرحمني	يوماً و يصرفكم عن ذاكم الملل ³⁰

ملخص البحث

وفي القرن الخامس الهجري انتقل حكم بلاد السند والملتان من العرب إلى الغزنويين. وقبل عهد الغزنويين كان بلد لاهور من الأصفاح الطبيعية والبسيطة بالهند. ولم تكن لها خطورة مخصوصة من حيث التجارة والثقافة والمعرفة والدراية. وما كانت توجد سمات قيمة ومهمة للغة العربية في البلد المذكور.

إن المنصورة "بمكر حالياً" وديبل "كراتشي حالياً" وثمّة والملتان كانت أوائل مدن الهند "باكستان الآن" التي صارت معاقل للتعليم العربي ثم أصبحت مدينة لاهور عاصمة إقليمية للدولة الغزنوية، ولم تزل لاهور عاصمة ثانية لمعظم الدول الإسلامية التي تعاقبت على الحكم من الغزنويين إلى سلاطين دهلي والغوريين والخلجيين والمغول في الأخير، وانتهت المملكة المغولية المسلمة على أيدي الإنجليز في سنة ١٨٥٧م في شبه القارة الهندية الباكستانية.

ولما استولى الإنجليز على شبه القارة بالمكر والدهاء، تغيرت الأحوال. وقد كانوا خطفوا الإمارة والدولة من أيدي المسلمين على حين بغتة وخدعة، ولهذا كان ذعرهم وقطعهم في قلوبهم أشد وأكثراً. فعاكسوا لهم المجال في جميع شؤون الحياة وقضايا العيش. وركزوا الجهود أن يستعطفوهم إلى دراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية في المعاهد العلمية الحكومية. ولكن غاية الإنجليز المنشودة بهذا المشروع التعليمي إبعاد المسلمين عن اللغة العربية والثقافة الإسلامية.

ولهذا قد قام هؤلاء العلماء المسلمون بخدمة اللغة العربية والعلوم الإسلامية وروجوها في البلاد الهندية المتفرقة. ولم يمتثلوا أمر الإنجليز، ولم يقنطوا من هذه الظروف الخطيرة. وبذلوا الجهود الكثيرة الوفيرة في ازدهار اللغة العربية والثقافة الإسلامية ونهضة المسلمين وارتقائهم. وحتى أن قد أُرِفَ وقت قسمة شبه القارة الهندية. وقد أنشئت في هذه المنطقة دولة إسلامية مستقلة باسم "جمهورية باكستان الإسلامية" بأمر الله ورحمته وقدرته.

وقد عمل علماء لاهور في المجالات العلمية والبحوث الأدبية المتفرقة. منها:

١- الدرس والتدريس في المعاهد العلمية الحكومية والأهلية.

³⁰ همداني، حامد أشرف الدكتور: الشعر العربي في باكستان، ص ٥٤٧

٢- التصنيف والتأليف: وقد ألف هؤلاء العلماء البارزون عدة كتب عربية في العلوم العربية والإسلامية.

وقد حرر هؤلاء العلماء الخبراء عدة مقالات عربية في موضوعات شتى . ومع هذا قد ترجموا عدة كتب عربية إلى اللغات الأخرى وبالعكس. وقد أنشد كثير من هؤلاء العلماء الحاذقين أشعاراً أنيقة بمهجة جيدة رائعة في المدح والثناء والرتاء والترحيب والتهنئة وغيرها من الأغراض الشعرية. والآن تأتي بخصائص أشعار هؤلاء العلماء البارزين الفائقين.

خصائص الشعر العربي لعلماء لاهور

- ١- أكثر الشعر العربي لعلماء لاهور يغلب عليه الطابع العلمي أكثر من الأدبي.
- ٢- تقل فيه الصور الخيالية والمحسنات البديعية.
- ٣- أكثر ألفاظه وكلماته صعبة تحتاج إلى بحث طويل للدلالة على معناها.
- ٤- أكثر شعرهم تقليدي يحاكون فيه الشعر القديم بين تجديد.

